## الشاعر العراقي عدنان الصائغ في حديث عما حدث في المربد:

# بعض المعارضين انقلب جلاداً لا يقلّ عن سابقيه!

الجزائر ـ «القدس العربي»

ـ من نوارة لحرش:

حين وصلتني رسالة معنونة بـ«خبر عاجل» من الشاعر العراقي عدنان الصائغ كنت أعتقد أنّ هذا الخبر يحوي حوارا جديدا معه أو مقالة كتبت عنه وعن بعض نتاجه الشعري، لكن بعد أن بدأت في قراءة فحوى الرسالة عرفت أن الشاعر مهدد بقطع لسانه، بسبب قصيدة «نصوص مشاكسة قليلا» كان ألقاها في مهرجان المربد الشعري. لحظتها صدمت حقا وفوجئت واستنكرت، وقلت لماذا يحدث هذا للشاعر في وطننا العربي؟ الشاعر الذي لسانه لا يجيد إلا نزف المواويل والعصافير والأناشيد والحنين يهدد بالقطع؟ أي حمق هذا وأي غباء وأي ظلامية هذه؟ الشاعر توأم الخير والمحبة والنور كيف يهدد بالقتل، إنها معادلة اللامنطق واللاعقلنة في جغرافية الشعرية العربية... وبغض النظر عن رأيي الشخصي في نصه الذي كان وراء هذا التهديد فأنا في حواري هذا أريد أن أقول بأن التهديد غير منطقي وغير حضاري، وأنه لا أجمل ولا أرقى من لغة التحاور والتواصل.

في هذا الحوار حاولنا أن نستقرىء نفسية الشاعر بعد تلقيه التهديد وطرحنا بعض الإشكالات على طاولة الحوار كالديمقراطية والتصفية المعنوية والجسدية التي كثيرا ما تكون من نصيب الشاعر العربي.

■ لنبدأ أولا بحادثة تهديدك بالقتل وقطع لسانك كيف تلقيت التهديد وماذا خلف في نفسيتك تحديدا؟.. هل يمكن أن تحكي تفاصيل الحادثة للقارىء العربي؟

**■ في زيارتي للوطن، كنت أسير بهدي القصيدة، غير مبال للسيارات المفخخة أو لسكين ظلامي. ذلك إن قدر القصيدة عندي، أقوى من قدر الموت نفسه.. هكذا خرجتُ من الحرب سهواً عام 1993، وهكذا نجوتُ هذا العام 2006، من مليشيات الموت، بأعجوبة..**

**لم أفكر وأنا أنزل من منصة مهرجان «المربد»، الذي كنتُ ضيفاً عليه، وسط تصفيق لم أشهده في حياتي.. لم أكن أفكر أن ثمة سكيناً أعمى يتربص بي، مهدداً إياي بقص لساني، لأني تلوتُ بصدق وألم، أوجاع الوطن والمنفى وعذابات الروح.**

**تقدم مني القاتل الظلامي بوقاحة وصلف، ليبلغني برسالة الموت، لأنني ـ حسب قوله وغبائه ـ تهجمتُ على الدين والخلفاء الأربعة.. أصابتني حالة من الذهول والبرود معاً. لم أكن أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف، أنا الأعزل، وسط غابة من البنادق..**

**نعم، فاجأتني كلمات التهديد، التي لم أكن أحسب لها حساباً، وبينما انخبص الأصدقاء الشعراء وتراكض البعض، كنتُ غارقاً في حالة غريبة من برود مميت وصمت وهدوء عجيبين.. كأنني أستعيد قصيدة مايكوفسكي «ليلي» التي يقول فيها: «انظري إليّ كم أنا هادىء، هادىء كنبض رجل ميت».**

**تركتُ للأصدقاء الرائعين أن يأخذوني إلى مكان آمن ريثما ينجلي ظلام أرعب وأغرب ليلة أعيشها في حياتي.. لم يستطع مضيفي الكريم ولا صديقي الشاعر البصراوي النبيل الذي قاسمني تلك الليلة أن ينتزعاني من برودي وصمتي وذهولي.. لم أكن خائفاً بقدر ما كنتُ مذهولاً، أنا الذي خبرتُ الموتَ وعرفته عن قرب في سنوات الحرب الطويلة، التي عشتها جندياً طيلة 13 عاماً، مثلما خبرني عام 1993 في بغداد بعد أحداث مسرحيتي «الذي ظل في هذيانه يقظاً»، وهروبي من الوطن..**

**أقول فاجأني تهديده القاتل بقطع لساني وقتلي، لأنني كنتُ مأخوذاً ومنتشياً في حضرة الشعر والشعراء وتصفيق الجمهور، ولم أكن أعرف أن شبح الموت يتربصني على بعد خطوات.. كل ما حسبتُ له وأنا أتلو هذه النصوص المشاكسة أن تُحذف أو يحذف بعضها من الصحف والقنوات الفضائية الملثمة بالدين.. لكن أن يحذفني هذا الظلامي جملة وتفصيلاً، هكذا ببساطة مميتة، فقد صدمني وشلّني هذا الأمر لا لشيء إلا لأنني لم أكن مستعداً له.. فثمة عمل طويل لي سميته «نرد النص» لم أكمله بعد.. وثمة أشياء كثيرة لم أنجزها بعد، ورسائل لم أجب عليها بعد، وكتب ومدن وشواطىء لم أرها بعد..**

■ ماذا تقول للمليشيات الظلامية هذه؟

**■ أقول لهم ما قلته في نصوصي تلك:**

**«يا ـ...«الناطقُ باسم الله»!!**
**لا ترهبْني**
**ربي، لم يحتجْ سيفكَ كي تقنعَني**
*******
**لم ترَ ربكَ إلا بالنصل وبالدمْ**
**وأنا أبصرهُ... في الكلمةِ، في النغمةِ**
**في زرقةِ عينيها، واليمْ**

**آياتٌ نسختْ آياتْ**
**وتريدُ لرأسكَ أن يبقى**
**جلموداً لا يتغيرُ والسنواتْ**

**يا هذا الفانْ**
**ولتنظرْ كيف تحاورَ ربُّكَ والشيطانْ**
**أكثيراً أن تتعلمَ كيف تحاورُ انسانْ»**

**وأقول لهم أيضاً كما قال الشاعر الفرنسي لويس أراغون «يستطيعون أن ينزعوا عني الحياة، لكن لن يطفئوا غنائي».....**

■ لماذا الشاعر العربي عرضة دوماً للتهديد والمساومة؟

**■ الحاكم العربي يريد للشعر وظيفة واحدة هي أن يصبح بوقاً، أو ـ على أقل تقدير ـ أن تتقلم أظافره ويكف عن التطلع والتحدي والتحريض..**

**وعندما يجد هذا الحاكم أو زبانيته أن بعضاً من الشعر، بعضاً من الشعراء عصيّون على الترويض والتدجين، فانه يعمد إلى لغة الترغيب والترهيب، في شراء صوت الشاعر أو إسكاته، وعندما يعجز عن ذلك يلجأ في الأخير إلى وسيلته الوحيدة، وهي التصفية والفتك.**

■ ما حدث لك مؤخراً يؤكد مجدداً أنّ نصوصنا بإمكانها قتلنا بطريقة أو بأخرى وبأنّ الكاتب المشاغب هو دوما مشروع اغتيال؟

**■ آمنت منذ بدء رحلتي مع القصيدة أن النص المغاير، شكلاً أو مضموناً، يثير دائماً سلفيّ الأفكار والقوالب، فيكون المبدع عرضةً لشتائمهم ولسهامهم ونصالهم..**

**المغايرة والتجاوز في الشكل الفني، يثير ويهيج مخاوف التقليديين، فيسعون جاهدين لخنق صوته، بكل وسائلهم المتاحة، أو تشويه صورته أو إثارة الغبار والضجيج حوله لكي لا يراه أو يسمعه الآخرون..**

**وهذا الأمر ـ رغم فداحته ـ لا يصل إلى رقبة المبدع.**

**لكن المغايرة والتجاوز في المضامين الفكرية والسياسية والدينية، قد تصل بهؤلاء السدنة إلى تصفية المبدع أو قطع لسانه (كما هددني ذلك الظلامي)، لأنه يهدد وجودهم ومكاسبهم.**

**وهذا الأمر ليس جديداً أو طارئاً أبداً. إنه ابتدأ منذ ابتدأ الصراع البشري بين الخير والشر، بين الظلمة والنور، بين الجمال والقبح، بين التغيير والجمود، بين العبودية والحرية، بين الحداثة والسلفية.. واسترجعي معي تاريخ الفكر والحرية والإبداع، تجدين العجب والأهوال.**

■ ألا ترى معي بأن هناك مفاهيم مغلوطة لدى الكثير من الفئات التي تدعي وعيا ديمقراطيا وحضاريا؟

**■ فهم الديمقراطية وممارستها غير التشدق بها كشعار أو لبسها كإكسسوارات، كما نجد عند البعض (أقول: بعضاً ولا أعمم) ممن كانوا أحزاباً معارضة. لكن ما أن تربع أحدهم على الكرسي واستلم شيئاً من الحكم، حتى انقلب إلى جلاد آخر لا يقل عمن سبقه، ضراوة ووحشية في تصفية معارضيه، لأقل كلمة أو نأمة..**

**هذا السلوك ـ ومهما تلبس من لبوس ـ لا يمت لهذه المفاهيم السامية التي ناضلت البشرية من أجلها، على امتداد تاريخها، ودفعت الكثير من أجلها.**

**المفاهيم المخطوءة تؤدي حتماً إلى نتائج مغلوطة أو معطوبة، وهذا العصر، وهذه الأوطان، أوطاننا المسلوبة لم تعد تحتمل المزيد من التشويهات والجرائم التي ترتكب باسم الديمقراطية أو باسم الدين أو باسم الثقافة أو بأي مسمى بشري أو سماوي... يكفي.. لقد ضللوا الشعوب طويلاً، ولن يستمر هذا التيه طويلاً.**

■ الديمقراطية التي تريد أمريكا زرعها في الخارطة العربية أو في الذهنية العربية ألا ترى معي بأنها ديمقراطية سفاحة بالدرجة الأولى؟

**■ كما قلت في جوابي السابق، المسألة لا تتعلق بفكرة الديمقراطية والحرية التي لا أسمى منهما في الوجود، المسألة تتعلق بفهمها الصحيح وطرق إنتاجها واستخدامها والوسائل.. وهي لا تُحمل بكارتونات، أو تُستورد، أو تُفرض فرضاً، بالاحتلال أو بالانقلاب العسكري. إنها حاجة إنسانية وجودية ملحة لا غبار عليها، دفع شعبي الكثير والكثير لكي ينالها.**

**لقد عانى وطني طويلاً من نير الدكتاتورية البغيضة، وكان على مدى عقود طويلة، يتطلع إلى الحرية والسلام والأمان والبناء. وبعد زوال الطاغية اشرأب بعنقه النحيل قليلاً، لكنهم لم يمهلوه كثيراً فسرعان ما أمسكت بخناقه قبضاتهم الغليظة والبغيضة. فسيطرت عليه قوانين الاحتلال، والمليشيات المسلحة، ومخابرات دول الجوار، وبقايا النظام السابق، والظلاميون، والطامعون، والجهلة، والعمائم بكل أطيافها، والسلفية بكل أطرافها. هكذا يا سيدتي وجدنا أنفسنا في نفق آخر من ظلام طويل، لا ندري متى نخرج منه!!؟.....**

**لكن إيماني وقراءتي لتاريخ بلدي والعالم يجعلني أرى ان ثمة ضوءاً في هذا النفق، وان ثمة عشباً في عيون الناس وأرواحهم لن يذبل أبداً... إن بلدي كطائر العنقاء يحترق ويولد من رماده... نعم.. لا بد لهذا الرماد الذي يغطي المشهد الآن أن ينجلي يوماً ما عن طائر العراق الجميل، ليحلق عالياً تحت شمس الحرية الحقيقية..**

■ تم انسحاب عدد كبير من الشعراء الذين حضروا فعاليات المربد من قاعة المهرجان احتجاجا على كلمة مسؤول في وزارة الثقافة العراقية والتي قال فيها: «تم تخصيص رواتب للشعراء». هل كنتم تشعرون بإهانة النظام لكم من خلال هذا التصريح؟

**■ ليس هذا فقط، بل قال هذا المسؤول كلاماً مجاً، مخاطباً الأدباء: إن الكثيرين منكم عندما يرى الدنانير سوف تتغير كتاباته. وهنا نهض الأدباء ـ وكنتُ بينهم ـ بشجاعة واستنكار، وطالبوه بالاعتذار، أو الخروج من القاعة، وإلا فانهم سيغادرون المهرجان. وعبثاً حاول البعض تخفيف الموقف، لكن الأدباء ظلوا على إصرارهم وتجمهرهم وتضامنهم.. فصعد المسؤول واعتذر.**

**هذا الحالة الإيجابية لا بد من ذكرها..**

**حدث هذا في الصباح 4/16، في يوم أمسيتي المسائية، وقد شجعني هذا المشهد الرائع والموقف الصلب لأدباء العراق.**

**وأحسست لأول مرة في حياتي أن هناك جواً حضارياً صحيحاً رغم مشهد الخراب العام. مشهداً ديمقراطياً واعياً لا يختلف إلا ببعض التفاصيل عما أراه في السويد أو بريطانيا، وهو ما نفتقده ـ للأسف ـ في الكثير من أوطاننا العربية مثلما افتقدناه في بلدنا طويلاً...**

**وكان موقفهم الثاني الرائع والشجاع في الوقوف معي وحمايتي بعد تعرضي للتهديد. بل ان بعضهم أصر على المبيت معي، تلك الليلة، ولم تنقطع عني ـ لليوم ـ اتصالاتهم وايميلاتهم وكتاباتهم.**

■ القصيدة التي ألقيتها في المهرجان اعتبرت تهجماً على الوضع، بعمقه السياسي والثقافي. فماذا تقول؟

**■ القصيدة أو مقاطع منها، أرادت أن تلقي ضوءاً كاشفاً على مسألة تاريخية، أخرجها المتصارعون المتعصبون من بطون التاريخ وفرشوها على أرض الواقع، وراحوا يذبحون بعضهم بعضاً ويذبحوننا باسمها، ثأراً لها أو تصحيحاً لمسارها كما يتوهمون.**

**كنت أرى أن من واجبي كشاعر أن أُعري هذا التاريخ المتورم بالتباساته العويصة وأحقاده المتوارثة. وأكشف زيف هذه السلطة الغيبية التي باسمها يحاول البعض أن يسلبنا حقوقنا وإنسانيتنا وتفكيرنا وصوتنا..**

**هؤلاء لا يريدون ان يسمعوا نقداً، أو تنويعاً آخر على أسطوانتهم المشروخة..**

**والحق يقال ان الكثير من الأصوات الشعرية الجميلة كانت تنأى على دوران في فلكهم.. لكنها لا تجابههم، أو تكتفي بالرمز.. وهذا أمر طبيعي ومن حقهم في غابة البنادق.. حفاظاً على حيواتهم وعوائلهم نتيجة الأوضاع السيئة التي لا يأمن فيها الإنسان على نفسه لأقل كلمة أو رأي أو اختلاف. وهذا ما حدث.**

**ولو تصفحت تاريخ الدكتاتورية التي عانينا منها طيلة أكثر من 30 عاماً، تجدي أن ما حدث في المهرجان وما يحدث في الواقع العراقي هو إفراز لها وانعكاس على الواقع والسلوك الذي لا يريدون أن يتخلصوا منه.. وأقصد هذه المليشيات وقادتها التي استبدلت ممدوحها من الجنرال إلى رجل الدين، ومن المسدس إلى المسبحة أو إليهما معاً..**

**ومن القائد الضرورة إلى الشيخ ـ المرجع الضرورة.. وهكذا دواليك.. كما قلت في بياني الذي نشرته العديد من الصحف والمواقع.. وأكدتُ فيه أن الرب الذي أعرفه وأحبه وأعبده غير الرب الذي يقتلون باسمه، ويفخخون باسمه، ويلطمون ويتطبرون باسمه.. ويسرقون الناس باسمه، ويتربعون على المنابر والكراسي باسمه..**

**إن مشهد الخراب، والمفخخات، والميلشيات، والعمائم، والاحتلال وعصابات النظام البائد، وتدخلات دول الجوار، أنتج منظومة اجتماعية وثقافية بائسة. ألقت بظلالها الكارثية على هذا الشعب المبتلى.. وعلينا كمثقفين وأدباء وفنانين أن لا نسكت عن هذا أبداً..**

■ هل من كلمة تريد قولها ولم أترك لك فرصة قولها؟

**■ إن الواقعة التي حدثت، واقعة الاعتداء على الكلمة في مهرجان شعري، هي جريمة سيطارد عارها من فعلها ومن ساندها ومن سكت عنها..**

**سيلتصق بهم عار هذا الفعل إلى الأبد..**

**وتظل الكلمة الحرة، نور الله الذي لا يحجبه حجاب، ولا يسكتها إرهاب..**

**وأستذكر هنا صديقي الشاعر الشهيد علي الرماحي الذي اغتالته سلطة الجهل والدم، سلطة النظام البائد، نهاية السبعينات، لقصائده التي لم تكن تهادن أحداً.. إليه أهديت قصيدتي «شاعر» التي أقول فيها:**

**«في عصر الطغيانْ**
**كان الشعراءُ الخصيانْ**
**ـ كالفئرانْ ـ**
**ينكمشون بجحرِ السلطانْ**
**ويغنون**
**بأمجادِ جلالتهِ**
**وبنعمتهِ**
**وتظلُّ حروفك**
**ـ في كلِّ زمانٍ ومكانْ ـ**
**تمشي....**
**وعلى كتفيها الصلبانْ»**

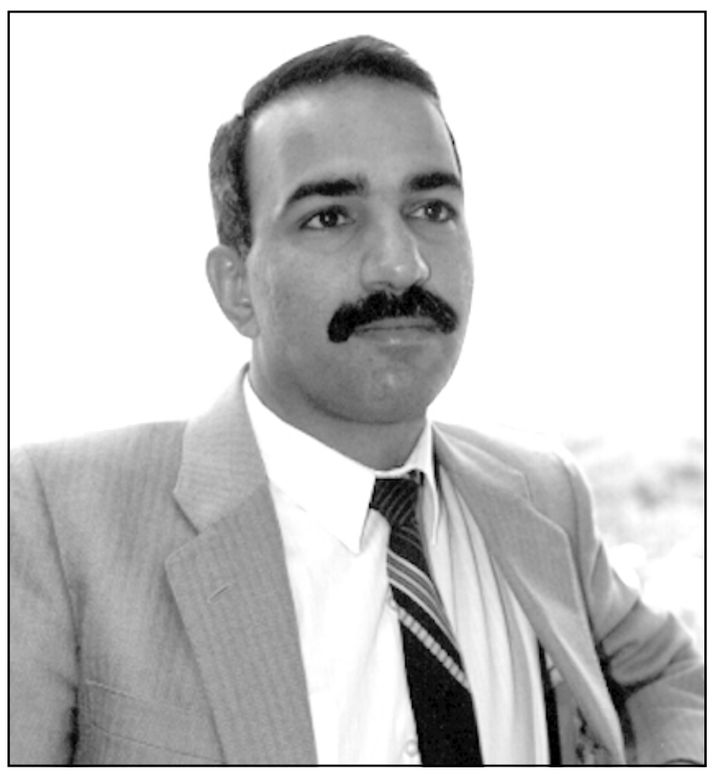

عدنان الصائغ (القدس العربي)

## الكاتب التّونسي مبروك المنّاعي في مساءلة:

# إنشائيّة الشّعر وغواية القراءة

**نزار شقرون***

■ يعدّ البحث في المسألة الإنشائيّة من الضّرورات النّقديّة في عصر تفاقمت فيه المناهج وانتصبت معاولها محدثة أسئلة كثيرة حول بناء النّصّ الأدبي قديمه وحديثه . وينخرط الأستاذ مبروك المنّاعي في هذا السّياق من خلال كتابه الأخير " في إنشائيّة الشّعر العربي " الصّادر عن دار محمّد علي للنّشر (2006)،فهو منتم إلى هذا المبحث الذي يستنطق النّص الأدبي قصد انكشاف مساربه وإبانة توهّجه الشّعري . ويأتي هذا الكتاب إثر تآليف عديدة مثل : " المتنبّي : قلق الشّعر ونشيد الدّهر " ، " الشّعر والمال " و" الشّعر والسّحر " التي عبّر من خلالها المؤلّف عن ولعه بالنّصّ الشّعري القديم ومعاشرته لأسئلته الإبداعيّة والوجوديّة أيضا إذ كانت الحياة في الأدب جزءا من المبحث النّقدي عامّة بمثل ما كانت الإنشائيّة وقوفا على بواطن النّصّ الأدبي وشروط تكوّنه وطبيعة إبداعه في لحظة انتسابه إلى مبدعه .

لقد عمد المنّاعي إلى توخّي خطّة كتابة سلسة قامت على التنظير من ناحية وعلى البعد الإجرائي التّطبيقي من ناحية ثانية وقد دلّ هذا التّوزّع على توق إلى إقامة برنامج نقدي ، ليس الكتاب غير وضع اختباري لسيرورته واكتناز بخبريّة المعرفة في الشّأن النّقدي دون إثقال الكتاب ببيان المرجعيّة في المنهج ، إذ كفى تشرّب الكاتب للمناهج سوءة الانصياع لإجرائيّة أكاديميّة جافّة ، قد تقتل النّصّ وهي تشيع علنا نيّة إحيائه . ولعلّ هذا الضّرب النّقدي المتوخّى في الكتاب يعلي من شأن القراءة الإنشائيّة التي لا تعلن البحث في إنشائيّة النّصّ فحسب وإنّما تنفعل به فتكون هي ذاتها إنشائيّة في خطابها وذلك نوع من أنواع التّشاكل بين النّصّ الشّعري والنصّ النّقدي لا يقوى عليه إلاّ من كانت له صلة مخصوصة بالشّعر إلى حدّ التّتوّم.

يحتوي الكتاب على ثمانية فصول محكمة النّسج رغم أنّها قائمة على نواة أساسيّة ولا يعني ذلك أنّ الفصل ينسخ الفصل أو أنّ قراءة الواحد تكفي عناء قراءة اللاّحق وإنّما الفصول تتفرّع عن بعضها تفرّع حركة اللّولب عن أصل بدايته التي كانت عبارة عن مدخل نظري يغوي بالقراءة لما فيه من اختصار شديد واقتضاب هو إلى إنشائيّة الشّعر أقرب منه إلى ثرثرة الخطاب النّقدي أحيانا كثيرة . وعماد الفصول أنّها تتّصف بالاستقلاليّة بعضها عن بعض في الظّاهر لكنّها متورّطة في نواة أساسيّة فبإمكان القارئ أن يزهد في قراءة كلّ الفصول إلاّ أنّ هذا الزّهد سرعان ما ينبخّر فهو من قوام لعبة النّاقد يعلن اكتفاءه بالوصل القليل ووصله يستحكم بلبّ ووجدان القارئ إذا ما تورّط هذا الأخير في تملّي سطور الخطاب فإذا به يقف على نوع من الخطاب النّقدي الذي يتّخذ من الماء دفقه فهل من سبيل إلى ردّ انسيابيّة النّقد والامتناع عن مراودته ؟

إنّ أوّل ما يبديه المنّاعي في كتابه فصل " أوليّة الشّعر في الإبداع العربي " فيبينّه بجلاء هو أصل اصطلاح الإبداع وخصائصه في التّصوّر العربي و لا يهدف بذلك إلى إعادة ما هو متداول أو التّذكير به وإنّما الغاية منه الوقوف على محرّك الفعاليّة الإبداعيّة فجعل الإبداع قرينا للماء أي للحياة فاستوى لدى الشّاعر العربي مع فعل إغداق الحياة على اللّفظ وباللّفظ ومنه اعتبار الإبداع قريبا من معنى البدعة والاختراع وبالتّالي متماه مع الخلق . ويدقّق المنّاعي قيام الإبداع العربي على خصيصتين أساسيّتين أولاهما أنّه إبداع لفظي قوامه المادّة الصّوتيّة وثانيهما " شعريّة المشافهة " ، على أنّ هذين الثّابتين استحكما بالشّعر فجعلاه في مقام المسيطر والمركز قياسا إلى هامشيّة النّثر ومحدوديّة سيطرته . لكنّ المنّاعي لا يقف عند هذا الحدّ بل قام بعرض موجز لجينيالوجيا الإبداع العربي مقسّما إيّاها إلى ثلاثة منعرجات كبرى معياره في ذلك ليس الكمّ وإنّما إجادة النّصّ في كلّ مرحلة أي تبيّن الجيّد من الرّديء بعبارة القدامى وبيان إنشائيّة النّصّ بلغة المحدثين . وتركّزت المرحلة الأولى على التّأسيس والازدهار حيث عدّ الإبداع العربي متّشحا بالبداوة ، منشغلا بإيقاع القوّة التي تؤثّر في نفوس السّامعين من الأمّيين ، على أنّ شعر الطّور الأخير من الجاهليّة افتقر إلى هذه القوّة الإيقاعيّة واهتمّ بجماليّة القصيد فكانت المعلّقات سمة بارزة فيه تثمّن هذا التّجاوب الجمالي فتغني الإبداع وصاحبه على السّواء وقد شهدت هذه المدوّنة الشّعريّة صداما مع النّصّ القرآني لما كان للشّعر من سلطة على النّاس ولاعتباره معرفة حدسيّة وسلطة عالمة تغري بالحياة وتسهم في تفسيرها على حدّ عبارة المنّاعي وإذا ما شهد الشّعر فترة تراخ أشّرت عليها أشعار الخوارج والشّيعة فإنّ فعل التّجديد في الشّعر العربي مع بشّار وأبي نوّاس وأبي العتاهيّة ، بيّن مدى نضارة الشّعر وانفتاح الذّائقة الشّعريّة والثّقافيّة عامّة على الطّابع المديني وتواصلت هذه الحركيّة الإبداعيّة مع شعر المتنبّي لقدرته الفائقة في تمثيل البعد العروبي في زمن بداية تخلخل الأمّة فهو شاعر القوّة العربيّة وهو " قوّة الشّعر إزاء ضعف القوّة " ويعتبره المنّاعي في منزلة ابن خلدون وهو لا يخفي بذلك تشيّعه لإبداعيّته وانتصاره لمشروعه الشّعري ، في حين يعتبر شعر أبي فراس الحمداني بكاء على الحضارة العربيّة ويصنّف أبي العلاء المعرّي آخر مبدعي هذه الموجة التّحديثيّة في الكلاسيكيّة الجديدة وما الشّاعر في كلّ هذه الحركيّة غير محافظ على الخطاطة القديمة فهو " يكتب على الكتابة ". ولم يكن من نصيب الدّور الأندلسي غير الموشّح فيما بين القرنين العاشر والثّاني عشر الميلادي .

وإذا كان حظّ الشّعر في هذه المرحلة وافرا فإنّ النّثر العربي غلبت عليه نظرة لا تميّز بين " النّفعي " و" الجمالي " فيه وهو أثر سلبي من آثار توجيه النّصّ القرآني لمشروع النّثر العربي وللمنّاعي في هذا الصّدد موقف موجز إلاّ أنّه جدير بالتّفريع والمساءلة إذ اعتبر أنّ النّصّ القرآني حرم الكتّاب ذاتيّتهم فلم يكن الإبداع الجمالي مطلوبا لذاته قدر ما كان مجالا للدّرس اللّغوي والبلاغي . ولم يعرف الإبداع النّثري قوّته إلاّ مع ابن المقفّع وسهل ابن هارون والجاحظ وابن قتيبة ويشير إبداع الجاحظ الرّفيع إلى غياب البعد الذّاتي في القول أي أنّ هذا النّثر يفتقر إلى شرط أساسيّ من شروط الإنشائيّة ولئن ازدهر هذا الفنّ في الفترة العبّاسيّة فإنّه بتواصله مع التّوحيدي وأبي العلاء المعرّي لم يجنح إلى الذّاتيّة فلم ينتج العرب أيّامها ، إذن ، نثرا ذاتيّا .

وأمّا المنعرج الثّاني فسمته التّراجع والصّنعة ، فومضات الإبداع خلالها قليلة وشحيحة إذ باستثناء محيي الدّين ابن عربي في الشّعر الصّوفي وحازم القرطاجنّي في البلاغة وابن جبير وابن بطوطة في أدب الرّحلة وابن خلدون فإنّ العالم العربي استسلم بعدها إلى السّبات الرّهيب وكان ذلك إيذانا بأفول أو تراخي الثّقافة العالمة في مواجهة ممارسة إبداعيّة ناشئة ومزدهرة وهي الأدب الشّعبي . لقد انحطّ العرب على جميع الأصعدة ووقع تصنيم القديم على امتداد خمسة قرون كاملة انتهت بخضوع المنطقة العربيّة لهيمنة الاستعمار الغربي وأصبح مبدا قياس الحاضر على الغائب هو المسيطر .

وبيّن المنّاعي أنّ المنعرج الثّالث " النّهضة الحديثة " عبّر عن استفاقة العرب قياسا بالتّاريخ الأدبي فهي نهضة على المنوال الغربي وفي ضوء مشروطيّة الاصطلاح الأدبي الغربي لذلك انبنت الكلاسيكيّة الجديدة الثّانية في صورة التّيّار المحافظ الذي مثّلته مدرسة البعث الشّعري بينما عبّر التّيّار المجدّد عن حضوره الفعلي من خلال استقدام النّموذج الغربي وكان أبرز روافده الإبداع الرّومانسي ولقد شكّل التيّاران معا " وهما إبداعيا فالأوّل مستلب في الزّمن العربي القديم والثّاني مستلب في المكان وحدّ المنّاعي هذين الاستلابين بـ" الاعتراب والاغتراب " في حين جعل من القصيدة الحديثة أفقا ممكنا لفعل إبداعي مرتقب لأنّه تجاوز نهائيّا نمطيّة الإبداع القديمة ، على أنّ أزمته الرّاهنة مأتاها القراءة وارتهان الذّائقة العامّة في النّصّ التّراثي . وقياسا بالأفق الممكن الذي ابتنه القصيدة العربيّة الحديثة فإنّ المنّاعي لا يستحسن ما بلغه النّثر العربي الحديث إذ يعتبره دون إسهام الشّعر .لكأنّ الشّعر قديما وحديثا أعمق دلالة على أيّ إبداعيّة من غيره من فنون القول الأدبي .

في ضوء هذه الأفكار الأساسيّة تنبني رؤية المنّاعي إلى النّصّ الإبداعي وقد توخّى في بقيّة الفصول إحكام صلة الشّاعر بكتابته وبوجوده في تعرّضه لـ" خطط الخطاب وصور المعنى " و" التّكسّب ورعاية الشّعر في التّراث العربي " حيث تتبّع مسارات المدح والتّكسّب عبر العصور العربيّة منبّها إلى أثر المال في حدوث الشّعر وتنوّعه فاحتراف الشّعر قد يدفع الشّاعر إلى صهر ذاتيّته والإجادة في القول وشحذ الأدوات الفنيّة . كما تعرّض ، في سبيل إثارة قضايا الإنشائيّة إلى نماذج من شعر القدامى مثل الشّنفرى وعنترة والمتنبّي ، مؤكّدا على منابع الشّعريّة في شعرهم ومعرّفا بالوصف ووظائفه في الشّعر العربي ومنتهيا إلى إثارة " شعريّة السّواد في كافوريّات المتنبّي " وهي مقاربة طريفة وقف فيها على سرّ من أسرار الصّناعة لدى المتنبّي الذي وظّف اللّون الأسود في عناصر قصيدته إلى درجة اعتباره ثابتا بنائيّا في جماليّتها .

وانتهت قراءات المنّاعي إلى نتائج هامّة من أبرزها خضوع الشّعر العربي إلى سمة " التّمثيل المائي " فهي أصل الإبداع ومتأصّلة في المخيال العربي ثمّ إنّه يدحض القول بتكراريّة الظّواهر التّصويريّة أو الجماليّة في الشّعر العربي فما اختلاف الصّور على المعنى الشّعري الواحد إلاّ بيان عن شواغل الشّاعر الذّاتيّة وانفتاحه على هواجس معاصريه . كما أنّ سنّة المكافأة في الشّعر العربي كانت لها أفضال كبيرة على الشّعر العربي.

إنّ كتاب المنّاعي بقدر ما يعلن عن التّوجّه الإنشائي فإنّه يتخيّر استدعاء كلّ الأبعاد البنيويّة والتركيبيّة والتّنغيميّة والدّلاليّة التي من شأنها أن تكشف جماليّة الشّعر العربي القديم فتنير بعضا من خباياه وتعلن في الآن نفسه عن إمكانات قراءات أخرى تتولّى بدورها فعل الكشف والإثراء .

* كاتب من تونس

## إصدارات أردنية

# أبو الطيب المتنبي شاعر العروبة وحكيم الدهر

عمان ـ «القدس العربي»:

عن المؤسسة العربية في عمان و بيروت صدر كتاب «أبو الطيب المتنبي: شاعر العروبة وحكيم الدهر» للباحث المصري د. عبد العزيز الدسوقي، وقد جاء في 35ز صفحة، وكتب مؤلفه مقدمة له جاء فيها «تناولت أبا الطيب في كتاب» في عالم الماتنبي «من خلال منهج فني جمالي سميته الرؤية الفنية، واليوم أعود إلى المتنبي من جديد، لأصافح أحداث حياته وتقلباتها وأفراحها ومآسيها، وما ألم به من كوارث ونكبات، ولأتوقف بشيء من الفحص والتدقيق عند القضايا التي ثارت حول حياته وفنه، وسأركز على محورين أساسيين: المحور الأول يدور حول مناقشتي لكتاب المفكر الرائد محمود شاكر وردوده على كلامي بثلاثة فصول مطولة بعنوان «المتنبي ليتني ما عرفته» أما المحور الثاني فيدور حول موقف طه حسين من المتنبي ورؤيته لأفكاره، وبخاصة ما يتصل باتهامه بالقرمطية، وموقف عبد الوهاب عزام من نفي هذا الإتهام، وأعترف أنني غيرت رأيي في قرمطية المتنبي، وسيبدأ الفصل الأول بتناول كل النصوص التي دارت حول كتاب الأستاذ محمود شاكر ومناقشتي لأهم القضايا التي تناولها هذا الكتاب، أما الفصل الثاني فيتناول ردود الأستاذ شاكر علي، وكانت بعنوان «المتنبي ليتني ما عرفتهو وفي الفصل الثالث سيكون التتعقيب الختامي على ما أثير حول طه حسين، وكل هذا يشكل القسم الأول من الكتاب، أما القسم الثاني فيتناول المناقشات المتنوعة التي تناولت ما أثير حول المتنبي من اتهامات والردود المختلفة عليها.

أما ما خلص إليه المؤلف الدسوقي في هذا الكتاب أن: المتنبي علوي هاشمي، وأن أباه من أشراف العلويين، وأمه كذلك وجدته، وأنه ليس مجرد شاعر، وإنما رجل سياسي يشتغل بالعمل العام، وأنه صاحب رسالة هدفها تخليص الأمة العربية من الحكام الفرس والروم والعبيد والخدم، وبعث المجد العربي وتوحيد الأمة العربية في ظلال إمبراطورية عربية إسلامية.

# في قضايا النقد والأدب لزياد أبو لبن

■ عن داروورد الأردنية للنشر والتوزيع صدر للناقد الأردني زياد أبو لبن كتاب «في قضايا النقد والأدب» ضم مقالات له كان نشرها وتناول فيها بعض الكتب النقدية والإصدارات الأدبية، أو الدراسات التي قدمت في مؤتمرات وندوات متخصصة شارك فيها، ومن هذه المواد: ثقافة أم ثقافات ؟، خطاب الحكاية، أدونيس:النص القرآني وآفاق من الكتابة، أدونيس منتحلا، عزالدين المناصرة: الشعرية، قراءة مونتاجية، أضواء على الشعر الفلسطيني الحديث، قضايا الإبداع الفني، في الأدب والنقد، جناية إبراهيم خليل على النقد الأدبي في الأردن وفلسطين، شكري عياد ناقدا، جبرا إبراهيم جبرا في الطوفان، منهج الواقعية الإشتراكية، دراسة تطبيقية للقصة والرواية الأردنية، الإتجاة القومي في الرواية، الترميز بين القديم والحديث، المفارقة بين النص والتلقي، زهير زقطان العرقة الجريحة، موت الحلاج حكاية مسرحية، سير وتراجم أردنية، قصيدة النثر بين المطرقة والسندان، أوراق منسية للدكتور عبدالرحمن ياغي، القيثارة والذاكرة: سيرة ذاتية أم سيرة حوارية، التراث الشعبي والرواية العربية المعاصرة، شعر عبدالرحيم عمر بين النظرية والتطبيق، الخروج من الصندوق لفرانك برنس، أدب الأطفال الشعبي، القصة العربية: أصوات ورؤى جديدة.. وغيرها. كتب أبو لبن في مقدمته لكتابه يقول: لعل هذا الكتاب يلقى رضى في الأوساط الثقافية، رغم أن تراجع الالتفات إلى الكتاب في العصر الرقمي يدعونا إلى إعادة النظر في توصيل الثقافة المكتوبة إلى القارىء أو المتلقي، فأظن أن المرحلة القادمة مليئة بالمفاجآت سواء على مستوى التلقي أو مستوى الكتابة، فنحن نعيش في عصر المعلوماتية التي تتطلب الأخذ بالقليل دون الغوص في الكثير، وهذا أمر يحتاج إلى حلقات بحث ودراسة كي نجد آليات جديدة في عملية التلقي».

# «فنانة الجسد» رواية لدون ديللو

■ عن دار أزمنة للنشر والتوزيع في عمان صدرت رواية مترجمة للكاتب الأمريكي دون ديللو هي «فنانة الجسد» وقد ترجمها الشاعر المصري محمد عيد إبراهيم، وكتب يقول عنها في مقدمته «رواية فنانة الجسد 2002 هي الرواية الحادية عشرة لدون ديللو، والتي أصدرها بعد ثلاثين عاما من الإبداع، وكلها روايات طويلة، وهو المعروف بأستاذيته التي تكرر نجاحاته رواية بعد أخرى، خاصة «أمريكانا» 1971 و«عالم تحتي» 1997 حيث يقدم فيها رؤية ما بعد حداثية للحياة، التي تعبر عن نفسها في الحكاية التي يتم سردها بصوت يعيش في زماننا، صوت أرواح منسية تسكن أصابعنا وتحاور ثقافتنا فيما هو أكبر من الحياة أكبر من أجسامنا وهي تعيش الحياة. تضحي رواية «فنانة الجسد» بالاتساع مقابل العمق، فهي تضيق منظورها على حياة واحدة، وموت واحد، لكنها تملك عليك منافذ الإحساس بكل ما تطلقه من ملامس الأشياء فوق وعي جلدك، ومسام روحك، بطلة الرواية هي لورين هارتكي التي نراها تشارك زوجها راي الإفطار الصفحات الأولى، وهي صفحات تدل على المعية باهرة لرواية كبير تمر أفكار مرحة على بال لورين وهي تصب الحبوب أو تفتح الصنبور أو تطل من النافذة أو وهي تدير حوارا سخيفا لا طائل من ورائه غير اللعب بالفن.

# لا تذهَبْ أبداً

**حكمت الحاج***

يقولونُ لا
تذهبْ أبدا
لوحدكَ
إلى هذهِ
الأقدارِ
بالقدمينِ
حافياً
إنها أقدارُ ذوي
الراياتِ العاليةْ
قُمْ
وَقُلْ
بَلْ سأرحلُ
رغمَ أنفِ السوادِ
نقيَّ اليقينِ
ضامرَ الشفتينِ
أبيضَ اليدينِ
حتى منَ
الرياحِ الساريةْ
لكنهمْ صدَقُوا
فيما عاهدوا
القتلَ عليهِ
فها أنا ذا الآنَ
مترْاَن تحتَ التراب